

المرجعية الإستمولوجية للمصطلح التداولي من خلال كتاب "التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي

## The epistemological reference to the pragmatic term through the book "Pragmatics of Arab Scholars" by Masoud Sahhraoui

خليصة بارش، عز دين عماري

محمد بوضياف مسيلة، khalissa.bareche@univ-msila.dz

محمد بوضياف مسيلة، Azzddine.ammari@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2022/10/12 تاريخ القبول: 2022/11/21 تاريخ النشر: 2022/12/25

**الملخص:** يهدف البحث إلى وصف الإطار المرجعي المؤسس للمصطلح التداولي في ظل الدراسات اللسانية، وذلك من خلال كتاب "التداولية عند العلماء العرب". دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. "مسعود صحراوي، وقد تم اختيار هذا الكتاب نظرا لأهميته في إبراز جانب من جوانب البحث اللساني في الجزائر من جهة وأهميته في ضبط المصطلحات التداولية من جهة أخرى، ويهدف البحث إلى الوقوف على:

- ✓ مدى إثراء الرؤية التجديدية في الكتابات اللسانية الجزائرية لقراءات التراث اللغوي العربي.
  - ✓ دور الأفعال الكلامية في إبراز الأبعاد التداولية في الخطابات اللغوية التراثية.
  - ✓ قيمة المفاهيم والمصطلحات التداولية في إعادة نمذجة اللغة العربية بما يتناسب والاستعمال.
- الكلمات المفتاحية:** : المصطلح التداولي . الكتابات اللسانية الجزائرية . مسعود صحراوي .

**Abstract:** Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

**Keywords:** pragmatic term - Algerian linguistic writings - Messaoud Sahraoui -

## مقدمة:

تعتبر اللغة مؤسسة اجتماعية لها ملامحها الصوتية والوظيفية التي شغلت الباحثين عبر مختلف العصور، وهي أداة التواصل والتعلق بين الجماعات البشرية، فنحن نتواصل ليس لأجل التواصل بل لنمارس أفعالاً تقتضي ممارسة كلامية، وهذا ما دفع بالدرس اللساني الحديث إلى تجاوز مرحلة وصف اللغة وتفسير آليات إنتاجها وفهمها إلى تفسير مقاصد الاستعمال الكلامي ومختلف ظروف إنتاج الكلام، وهو ما يدرج تحت عنوان الدرس التداولي المعاصر.

**إشكالية البحث:** يسعى البحث للإجابة عن سؤال رئيس يتمثل في:

- ما المرجعية الأبنيمولوجية للمصطلح التداولي حسب التصور المعرفي لمسعود صحراوي؟

ويتفرع عنه جملة من الأسئلة، تتمثل في:

- إلام استند مسعود صحراوي في تحديده للمصطلح التداولي؟
- ما الأسس الأبنيمولوجية للنظرية التداولية من خلال كتاب "التداولية عند العلماء العرب"؟

**الفرضيات:** ومنه نفترض الآتي:

- استند مسعود صحراوي في تحديده للمصطلح التداولي على معيار تعلق البنية اللغوية بمجال استعمالها ومقتضياته.
- الأسس الأبنيمولوجية للنظرية التداولية من خلال كتاب "التداولية عند العلماء العرب" تتمحور حول الآتي: اللسانيات، وعلم النفس المعرفي، وعلوم الاتصال، والفلسفة التحليلية، ولكل مجال من مجالات التداولية مرجعيته الأبنيمولوجية.

**المنهج المعتمد:** يستند البحث إلى المنهج الوصفي كونه المناسب لهذه الدراسة.

**أهداف البحث وأهميته:** يهدف البحث إلى الوقوف على:

- مدى إثراء الرؤية التجديدية في الكتابات اللسانية الجزائرية لقراءات التراث اللغوي العربي.
- دور الأفعال الكلامية في إبراز الأبعاد التداولية في الخطابات اللغوية التراثية.
- قيمة المفاهيم والمصطلحات التداولية في إعادة نمذجة اللغة العربية بما يتناسب والاستعمال.

ويستمد البحث أهميته من أهمية هذا الكتاب ودوره في إبراز جانب من جوانب البحث اللساني في الجزائر من جهة وأهميته في ضبط المصطلحات التداولية من جهة أخرى.

عناصر البحث:

## 1/ التداولية . بحث في المصطلح .

### 1.1 . مفهوم التداولية:

التداولية لغة حسب الزمخشري من "دَالَتِ الدَّوْلَةُ. وَدَالَتِ الأَيَّامُ بكذا. وَأَدَالَ اللهُ بَنِي فُلَانٍ مِّنْعُدُوهُمْ: جَعَلَ الكَرَّةَ هُمْ عَلَيْهِ"<sup>1</sup>، فالتداولية من التفاعل والنقل والدوران، كما اقترنت لغويا بـ"المجال" و"التقريب"، فالمجال يشير إلى دلالة الدوران والحركة اللغوية، أما التقريب فيرتبط باليقين، "لأنَّ صاحب المجال التداولي إما أن يقوم بنقل ما يطابق مجاله أو ما يمكن مطابقته بعد معالجته"<sup>2</sup>.

وفي البعد الاصطلاحي يجعله طه عبد الرحمان امتدادا لمعناه اللغوي، ويذكر أنه وضع هذا المصطلح "التداوليات" عام (1970م) كمقابل للمصطلح الأجنبي (Pragmatique)، وهو مصطلح يوفي حقه حسب رأيه باعتبار ازدواجية دلالاته، فهو يوحى بالاستعمال والتفاعل في الآن نفسه، حيث يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح (التداوليات) مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)؛ لأنَّه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنوي (الاستعمال) و (التفاعل) معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"<sup>3</sup>، واتخذ طه عبد الرحمان هذا المصطلح منذ أول اشتغاله في التراث ليعبر عن الممارسة التراثية؛ أي التفاعل والتواصل بين صانعي التراث مما يحصر المجال التداولي عنده في البعد الفلسفي<sup>4</sup>، كما وضع شروطا للتداول اللغوي، تتمثل في الآتي:

جدول 1/ شروط التداول اللغوي<sup>5</sup>:

شوط التداول اللغوي			
الاعتقادية	الإقناعية	الاجتماعية	النطقية
أي أنّ الشخص	هدف الشخص المحاور	يقوم الحوار على مبدأ	أن يكون الحوار منطوقا
المحاور يعتقد صحة	اقناع الغير بالحجج	التعاون بين أفراد	بلسان مبين؛ أي نطقا

القضايا التي يعرضها ويستدل على صحتها	والبراهين وليس بالإكراه	المجتمع، يهدفون من خلاله إلى بلوغ المعارف والحقائق، والخروج بأفضل الحلول لحل مختلف المشكلات	سليم المخارج واضح الدلالات مفتوح على أبواب التأويل والمقاصد
--------------------------------------	-------------------------	---	---

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو التفريق بين المصطلح الإنجليزي (PRAGMATICS)؛ أي المذهب اللغوي التواصلية أو بعبارة أخرى التداولية اللسانية، وكذلك المصطلح الفرنسي بالمعنى نفسه (PRAGMATIQUE)، ومصطلح (LE PRAGMATISME) الذي يعني الفلسفة النفعية الذرائعية، وهي مذهب فلسفي يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياساً للحقيقة، وقد صيغ هذا المذهب من قبل بيرس عام (1879)، وطوره وليام جيمس (William James) و جون ديوي (John Dewey) ووريتشارد رورتي (Richard Rorty)، أما الدراسات التداولية فقد ظهرت على يد شارلز موريس (Charles Mouris) عام (1938)، ومن هنا وجب ضبط الفروق بين المصطلحين، الفلسفة النفعية الذرائعية والمنهج اللساني التداولي، والتي تتمثل في الآتي:

**جدول 2/ الفرق بين المذهب الفلسفي النفعي الذرائعي والمذهب اللساني التداولي<sup>6</sup>:**

المذهب اللساني التداولي	المذهب الفلسفي النفعي الذرائعي
. ظهر على يد شارل موريس عام (1938) . هو عبارة عن تطوير لمفاهيم بيرس السيميائية، ومن ثم لا يستبعد تأثر موريس بفلسفة بيرس النفعية	. ظهر على يد شارل ساندر بيرس عام (1879) . يحدد قيمة الأشياء من خلال نجاحها؛ أي قابليتها للتطبيق

ويمكن القول: إنّ الدراسة التداولية في مفهومها العام هي "أحد التطورات الأخيرة لما كان يدعى (الدلالة التوليدية) (generative semantics) والنظرية الوظيفية (functionalism) المقترحة في إطار مدرسة هارفارد الأمريكية والنظريات الوظيفية الأوروبية التي نذكر منها خاصة المدرسة (النسقية) (systemics) ومدرسة براغ المعروفة باسم (functional sentence perspective) وأخيراً النحو الوظيفي (functional grammar) الذي اقترحه في السنوات الأخيرة سيمون ديك (Simon)

(dik)<sup>7</sup>، واكتملت نشأة التداولية مع العالم الأمريكي جون أوستن (John Austin) الذي قدّم نظرية إجرائية في التداولية، وقد وسعها بنظرية أفعال الكلام، وتتمحور نظريته حول تقديم جملة من الأفعال (أفعال الأحكام، وأفعال القرارات، وأفعال التعهد، وأفعال السلوك، وأفعال الإيضاح)، ليختتمها العالم جون سيرل (John Searle) بتقديم منهج إجرائي يختص بتحليل الخطاب والنص وارتكز على الإشارات والافتراض السابق والاستلزام الحوارية والأفعال الكلامية، وهذا المنهج تمتد جذوره في أبحاث كل من وليام جيمس (William James) و جون ديوي (John Dewey) ووريتشارد رورتي (Richard Rorty)، وميز الفيلسوف الأمريكي شارلز موريس (Charles Morris) بين ثلاثة مصطلحات تعالج اللغة من بينها التداولية التي عدّها العلم الذي يدرس العلاقة بين العلامات ومستعملها<sup>8</sup>:

والملاحظ بالنسبة لجهود العرب في التأسيس لدرس تداولي عربي حديث في أغلبها لباحثين تونسيين ومغاربة وجزائريين، وبالنسبة لإشكالية المصطلح من اللسانيين من اعتمد مصطلح (التداول) الوارد في المعاجم العربية، وهو أقدم مقابل لمصطلح (Pragmatique)، وتم إقراره عند الكثير من اللسانيين، منهم<sup>9</sup>:

- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية (1985)
  - عادل الفاخوري: الاقتضاء في التداول اللساني (1989)
  - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (2002)
- ومن اللسانيين من اتخذ مصطلحات ترجمة أخرى انطلاقاً من خلفيات معرفية وفلسفية، منهم:
- عبد القادر الفاسي الفهري الذي ترجمها بالذريعات (1979)
  - محمود فراج الذي ترجمها بالبراغماتية (1998)
  - جورج كتورة الذي ترجمها بالعملائية والبراغماتية (2009)
1. 2. معايير تحديد المصطلح التداولي عند مسعود صحراوي

يعدّ مسعود صحراوي من اللسانيين الجزائريين الذين كان لهم السبق في التأسيس للسانيات التداولية العربية المعاصرة من خلال مؤلفاته وأبحاثه التي كان لها صدى في الدرس اللساني العربي، واستطاع هذا اللساني أن يضع الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، واصفا التداولية بأنها (ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظاهرة اللغوية في مجال الاستعمال)، وعلى الرغم من تبني مسعود صحراوي لمصطلح "تداولية" فإنه يقرّ بأنّ قضية التداولية التي تتمحور حول إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية المحركة لهذا الاستعمال، ومنه يجدر أن تسمى هذه الدراسة بعلم الاستعمال اللغوي بدل التداولية<sup>10</sup>.

إنّ إقرار مسعود صحراوي بأهلية مصطلح الاستعمال اللغوي ليطلق على المجال التداولي بكل فروعه يميلنا إلى أنّه لا يرفض مصطلح التداولية فهو اعتمده في أعماله ولم يتجاوز ما هو متعارف عليه لكن من جهة أخرى يعترف بعدم جدارته ليمثل الدراسة المعنية، ولو تدبرنا المصطلحين (التداولية) و(علم الاستعمال اللغوي) للاحتضا أن المصطلح الثاني لا يمثل كل جوانب الدراسة من مقتضيات تداولية كالتفاعل و السياق والمقصدات والاستراتيجيات الموجهة للخطاب ومختلف الظروف المحيطة به، فلا يكفي الاستعمال اللغوي لتتعرف على القدرات الإنسانية إن لم نستوعب القوانين التي تحقق التعالق بين اللغة والاستعمال، وهنا نقف عند المعيار الذي أسس عليه مسعود صحراوي حدود المصطلح التداولي، فهو يحاول أن يبين بشكل منطقي "أن تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها هو المعيار الذي ينبغي اعتماده في تحديد مفهومها"<sup>11</sup>، فالتداولية مقارنة ترصد اللغة في استعمالها الحيوي المقصود لا في شكلها السكوني المجرد من الاستعمال والمقاصد، وهي تفرض معرفة العلاقات التي تعين على الاستعمال اللغوي وليس على المعرفة اللغوية.

## 2/ الأسس الإيستيمولوجية للنظرية التداولية من خلال كتاب "التداولية عند العلماء العرب":

إنّ المطلّع على المنحى التاريخي لتطور الدرس اللساني التداولي يدرك أنّه يستقي جهازه المفاهيمي من عدة مرجعيات معرفية وفلسفية، أبرزها حسب مسعود صحراوي:

2. 1. عند الغرب:

**1.1.2 . اللسانيات:** يتجاوز مسعود صحراوي التعريف العام للسانيات من حيث هي الدراسة العلمية الموضوعية للغة البشرية إلى وصفها بالشكلانية والصوربة؛ أي أنّها علم ابتعد عن الأحداث الكلامية الحقيقية في الواقع المجسد مما جعل جهازه الواصف مفتقرا إلى التعيين والإحالة، لافتقاده للقواعد الإحالية التفسيرية<sup>12</sup>، ولعل هذا ما يحدد الفارق الجوهرى بين اللسانيات كعلم يدرس اللغة كنسق مكتف بذاته، وبين التداولية بعدها باعتبارها جزءا من اللسانيات تدرس اللغة في الاستعمال وعبر السياقات المختلفة.

**2.1.2 . علم النفس المعرفي:** يمكن وصفه بأنه علم يشمل مختلف العمليات العقلية التي يمارسها الفرد عندما يستقبل المعلومات ويعالجها ويرمزها ويخزنها ثم يسترجعها عند الحاجة<sup>13</sup>، وتعدّ اللغة من المواضيع البارزة في علم النفس المعرفي، فقدرة الفرد على استعمال اللغة بطريقة مناسبة متحدثا ومستمعا أمر ضروري في الحياة الإنسانية، وعملية التواصل تستلزم أن يمتلك الإنسان قاموسا من المفردات إلى جانب قواعد نحوية تضبط التركيب الصحيح لتلك المفردات، كما يصاحب الكلام إشارات من شأنها دعم العملية الكلامية، وقد تنوب عن الأداء الكلامي بأكمله، وتعدّ كتابات الفلاسفة اليونانيين أمثال أرسطو وأفلاطون بمثابة الأسس الفلسفية لعلم النفس المعرفي.

**3.1.2 . علوم الاتصال:** يعنى بمختلف الأبحاث والدراسات المتعلقة بالاتصال سواء أتعلم الأمر بالمرسل و المستقبل أم بالوسيلة و الجمهور أم بكليهما، وبدأت أصول هذه العلوم مع قصة تطور وسائل الاتصال والإعلام وصراع الإنسان مع الحرية والتحرير<sup>14</sup>، ومن هنا فإنّ علوم الاتصال تتطلب اعتبارين، هما: فهم عريض للوسائل المساهمة في العملية الاتصالية، وكيفية استثمار هذه الوسائل في إقناع الجمهور والتأثير فيه، وهذا من صميم الدراسة التداولية.

**4.1.2 . الفلسفة التحليلية:** المتأمل في الفكر الفلسفي المعاصر يدرك الطفرة التي أصابت ثنايا مواضيعه من حيث المنهج والموضوع، وهذه الطفرة تشكل منحى انتقال من الخوض في المواضيع والتساؤلات في مختلف المجالات إلى انحصارها في التحليل اللغوي، وهذا ما ينطلق منه أصحاب الفلسفة التحليلية<sup>15</sup>. ولكل حقل من حقوله التداولية مصادره التي يستقي منها أطره الاستيمولوجية، ومن أبرز هذه الحقول حسب مسعود صحراوي، ما يأتي:

أ . الأفعال الكلامية: والتي يطلق عليها أيضا نظرية الحدث الكلامي، ونظرية الحدث اللغوي، والنظرية الإنجليزية، واعتمد مسعود صحراوي مصطلح (أفعال الكلام) رغم ما يشوبه من اضطراب؛ حيث يرى أستاذ علم اللغة البريطاني (جون لاينز) أنّ ثمة تضليلا في مصطلح الفعل الكلامي في هذه النظرية لكونه يرمي بتقله الدلالي ويجيل إلى الجانب الصوتي المادي من اللغة؛ أي إلى الكلام المنطوق فقط، بينما يعد مصطلح (الفعل اللغوي) . حسبه . أنسب وأفضل بكثير منه، لأنه يشمل القوى الإنجليزية المترتبة عن لغة الكتابة ولغة الكلام مع بعض؛ أي اللغة في عمومها<sup>16</sup>، فنحن حين نكتب نستعمل اللغة وننجز بها أفعالا، فلو كتبت (أعد كتابة النص) ستعيد كتابته وإن لم أستعمل الفعل في شكله المنطوق، وعليه فمصطلح الفعل اللغوي أنسب من مصطلح الفعل الكلامي، فهول شمولي للقوى الإنجليزية ولأنماط التواصل.

وعلى رغم ما يشوب هذا المصطلح من التباس تبقى النظرية في عمومها منبثقة من مناخ فلسفي عام يتجلى في الفلسفة التحليلية، التي تشكلت معالمها الأولى مع غوتلوب فريجه (Gottlob Frege) في العقد الثاني من القرن العشرين بالنمسا، وهي تشكل المحضن الفكري للدرس التداولي وبتعبير مسعود صحراوي "السبب في نشوء اللسانيات التداولية"، وتجسد الفلسفة التحليلية الخلفية المعرفية لنشوء نظرية أفعال الكلام؛ حيث التفتت هذه الفلسفة إلى اللغات الطبيعية، فأصبحت اللغة الأداة المعرفية وبؤرة الاهتمام في أي مشروع فلسفي يروم فهم الكون واشكالاته فهما واضحا وصحيحا، وانقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات كبرى، وهي:

جدول 3/ فروع الفلسفة التحليلية<sup>17</sup>:

فروع الفلسفة التحليلية		
الوضعية المنطقية	الظاهرية اللغوية	فلسفة اللغة العادية
بزعامه رودولف كارناب	بزعامه إدموند هوسرل	بزعامه فيتغنشتاين

وقد خرجت الوضعية المنطقية والظاهرية اللغوية من المجال التداولي، نظرا لاهتمام الأولى باللغات الصورية المصطنعة واتخاذها بديلا عن اللغات الطبيعية؛ أي إنها أقصت القدرات التواصلية التي تعد إستيمة اللغة الطبيعية، أما الظاهرية اللغوية "فانغمست في البحث في أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية"<sup>18</sup>، فهذا

عنوان المقال: المرجعية الإستيمولوجية للمصطلح التداولي من خلال كتاب "التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي

الانغماس التجريدي أفقدها البعد الطبيعي للاستعمال التداولي للغة، لكن يبقى لها دور في التأسيس لمبدأ إجرائي يتمثل في (القصدية)، واستطاعت فلسفة اللغة العادية أن تحافظ على حدود الدرس التداولي، فاللغة حسبها تمثل "المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة"<sup>19</sup>.

وتطورت نظرية الأفعال الكلامية (Speech Act Theory) مع أوستن (J-L-Austin) و تلميذه سيرل (J-R-Searle)، فجمع أوستن الأفعال اللغوية في خمسة فئات، وهي:

جدول 4/ الأفعال اللغوية عند أوستن<sup>20</sup>:

الأفعال اللغوية عند أوستن				
السلوكيات (التعبيرية)	العرضية (التعبيرية)	التكليف (الوعدية)	التمرسية (التعبيرية)	الحكومية (الإقرارية)
أمثلة: هنا، رَحَب، اعتذر... إلخ	أمثلة: هَبّ، مَثَل، نقل أقوالا... إلخ	أمثلة: ضمن، الزم بعقد، أقسم... إلخ	أمثلة: نصح، أغلق، نبّه... إلخ	أمثلة: حلّل، قدّر، صنّف، طبع... إلخ

واستطاع سيرل أن يقدم تصورا متطورا لنظرية أستاذه، واقترح تصنيفات أخرى، وهي:  
جدول 5/ الأفعال اللغوية عند سيرل<sup>21</sup>:

الأفعال اللغوية عند سيرل				
الإعلانات	التعابيريات	الإلزاميات	التوجيهيات	الإخباريات
وتسمى أيضا بالإنجازات أو الإدلاءات	وهي أفعال التمرسية عند أوستن مثل أفعال الشكر والتهنئة	وتسمى أيضا أفعال التعهد، وهي أفعال التكليف عند أوستن	وتسمى أيضا كأفعال التشجيع والنصح والاستعطاف... إلخ	تحتمل الصدق والكذب، وتسمى أيضا التأكيدات

وعلى الرغم مما قدمه أوستن في نظرية أفعال الكلام إلا أنه لم يتمكن من تقديم تصور قائم على أسس منهجية واضحة ومحددة ، فقد خلط بين مفهوم الفعل كقسم من أقسام الكلام والفعل كحدث اتصالي، كما لم يكن دقيقاً في تصنيفه للأفعال، وهذا لا يلغي ما حققه من نجاح في ضبطه لمفاهيم النظرية خاصة ما يتعلق بمحاولة أداء الفعل الإنجازي، وتمييزه بين معنى الجملة وقصدية المتكلم من استعمال هذه الجملة، وكذلك التمييز بين الفعل الأدائي وغيره، وتحديدده للفعل الإنجازي الذي يعد محور نظرية أفعال الكلام<sup>22</sup>، فالأستين الفضل في التأسيس لهذه النظرية، فهو الذي أرسى معالمها التي برزت مع فلسفة فيتغنشتاين وضبط حدودها وعزّف بمفاهيمها الإجرائية.

ب . متضمنات القول: للخطاب مستويين، أحدهما ظاهر والآخر ضمني، واستنطاق المعاني الضمنية تحكّمه جملة من الإجراءات التداولية التي تدخل ضمن متضمنات القول، وهي:

مخطط 1/ متضمنات القول:



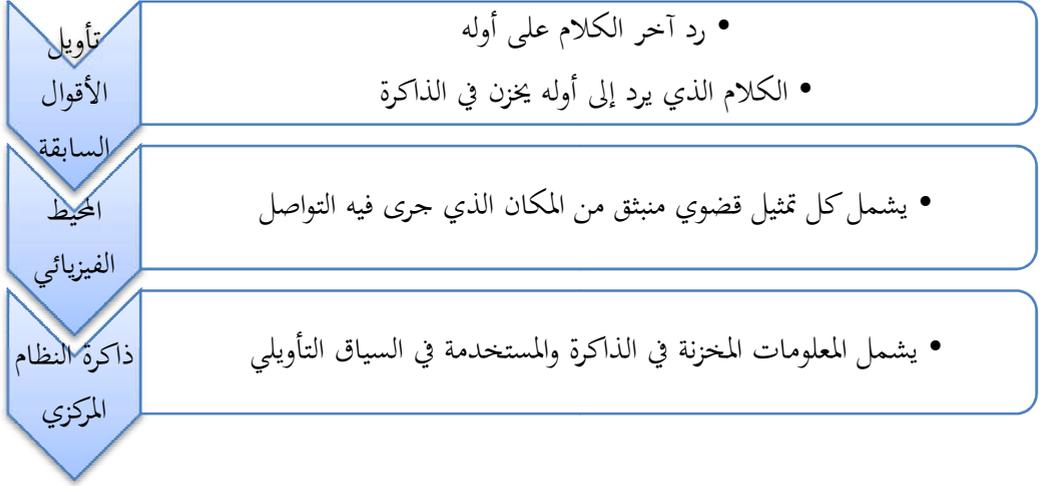
ب . الاستلزام الحواري(نظرية المحادثة): وهي من المفاهيم التداولية التي لها مرجعيتها الاستمولوجية المنبثقة من فلسفة بول غرايس(Grice)؛ حيث لاحظ غرايس أنّ الحمولة الدلالية للخطاب تحمل معنيين في الوقت نفسه أحدهما حرفي والآخر مستلزم، وأطلق على هذه الظاهرة اللغوية (الاستلزام الحواري)، ولوصفها اقترح ما أسماه ب (بنظرية المحادثة) التي مفادها أنّ التواصل اللغوي يتحكم إلى (مبدأ التعاون) وهو يقوم على أربع مسلمات ويحدث الاستلزام الحواري عند خرق إحدى هذه المسلمات.

جدول 6/ مسلمات مبدأ التعاون<sup>23</sup>:

مسلمات مبدأ التعاون			
مسلمة الجبهة	مسلمة الملاءمة	مسلمة الكيف	مسلمة القدر
توجيه الوضوح في الخطاب فلا يكتنفه الغموض	ملاءمة الخطاب لمقتضى الحال	قيمة الخطاب من حيث صدقه وابتعاده عن الكذب	أي كمية الأخبار الواجب التزامها في العملية الخطائية

ج . نظرية الملاءمة: تستقي معالمها من مشروعين معرفيين، الأول هو علم النفس المعرفي خاصة النظرية القالبية لفودور (Fodor) ولاسيما ما يتعلق برصد وقائع الحياة الذهنية وتفسير طرق جريان المعالجة الإخبارية، والثاني مجال فلسفة اللغة وبخاصة النظرية الحوارية لغرايس (Grice) مستثمرة مسلمة من مسلمات (مبدأ التعاون) الغرايسية التي تنص على ضرورة ملاءمة الملفوظ لنفسية مخاطبه، وأرسى معالم هذه النظرية اللساني البريطاني ديردر ولسن (D. Wilson) والفرنسي دان سبربر (D. Sperber)، وتستمد أهميتها من انتمائها للعلوم المعرفية الإدراكية، كما أنّها بيّنت بدقة موقع التداولية من اللسانيات ولا سيما موقعها من علم التراكيب، ولعل أهم ما جاءت به نظرية الملاءمة هو تصورهما للسياق؛ حيث لم يعد مفهوم معطى بشكل نهائي وسابق لعملية الفهم، وإنما يبني تبعاً لتوالي الأقوال، ويتكون من جملة من الافتراضات السياقية المستمدة من ثلاثة مصادر، هي: تأويل الأقوال السابقة والمحيط الفيزيائي، وذاكرة النظام المركزي<sup>24</sup>.

منحطط/2/ مصادر الافتراضات السياقية في نظرية الملاءمة<sup>25</sup>:



## 2.2. عند العرب:

يرى علماء اللغة العربية أنّ استعمال اللغة منوط بما تعارف عليه أصحابها وبمقاصد الحملات الخطائية، ولم يخرج أهل العربية الأوائل في مقارباتهم للتراث عن هذين الاتجاهين البارزين في وصف وتحليل البنى اللغوية، والذي لا يقل أهمية عما طرحه النظريات اللسانية المعاصرة، ولقد حاول مسعود صحراوي مقارنة ظاهرة اللغة العربية والتأسيس لنظرية الأفعال الكلامية في التراث العربي، بوصفها النموذج الأمثل لتجسيد معطيات الاستخدام اللغوي في الواقع، مركزا في ذات الوقت على العلاقة التكاملية بين البعدين التداولي والتواصلية للغة<sup>26</sup>، وإنّ رصد ملامح القضايا التداولية التي تعد المرجع في تحديد المجال التداولي في التراث اللغوي العربي يقودنا إلى عدة مسائل، منها:

**1. 2. 2. مسألة التقعيد النحوي:** إنّ استعمال اللغة عند العرب كان هو مصدر التقعيد، في أغلبه، كما كان مصدر جمع المادة اللغوية، وذلك ضمن حدود مكانية وزمانية<sup>27</sup>، ولم يكن يؤخذ من الكلام إلا ما كان يخضع لشروط الفصاحة، واقتصرت دراسة علماء اللغة على (التركيب الدالة المفيدة) وعلى هذا ينبغي أن يحمل مقصد سيبويه من (الكتاب) عندما صنف الجملة العربية دلاليا أصنافا ذكرها في قوله "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، وما هو محال كذب" على محور الإفادة، فحديث سيبويه عن صنف "المحال" لم ينعت به "مستقيم" أو "حسن" لعدم الكفاية التواصلية لهذا الصنف، مما يفقده سمته التداولية المستمدة من تحقيق الإفادة، فهذه المسألة تعدّ وجها من أوجه التداولية في التراث اللغوي العربي، فاستعمال اللغة مرهون بما كان ذو فائدة يحسن السكوت عنه، سواء أكان الاستعمال صريحا أم ضمينا.

**2. 2. 2 . مسألة السياق:** تنبه علماء العربية إلى أنّ الكلام لا يوجد إلا في سياق تواصل اجتماعي، فالكلام خارج السياق يفقد وجهته التداولية، والكلمات تكتسب معناها من صبغتها الاجتماعية والثقافية، وقد اشتغلت العرب بقضية السياق واحتكمت إليه في تفسير دلالات الألفاظ، فيؤخذ اللفظ بما سيق عليه، وهذا من صميم الدرس التداولي.

**2. 2. 3 . مسألة السماع:** يعد السماع من مصادر التقعيد عند الكوفيين، ومن الشواهد على الاتجاه التواصلية، والتداولية ترصد المقولات في إطار التواصل الذي يستلزم مخاطبين وظروف موجهة للخطاب.

**2. 2. 4 . مسألة البلاغة:** هي من أبرز الدراسات التي تؤكد العلاقة بين دراسة اللغة واستعمالها في السياق، كدراسة السكاكي والجرجاني والجاحظ والقرطاجني والعلوي، وغيرهم مما ليس المقام هنا لحصرهم، وما يميز هذه الدراسة العربية أنّها تشمل عدة نوافذ تداولية، فالبلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال تعكس من جهة نظرية الملاءمة المؤسسة لمناسبة الخطاب لسياقات الاستعمال، ومن جهة أخرى تعد البلاغة بمفهومها الجديد نظرية في الحجاج، ولا يخفى علينا أنّ الحجاج كان حاضرا في خطب الخلفاء والسلاطين والعلماء؛ حيث كانوا يعمدون إليه بغرض إقناع الجمهور بأفضلية خيار من بين الخيارات المتاحة، كما سلك الحجاج في القرآن الكريم نهجا مخالفا تماما لنهج الخطاب العادي، فجاء الخطاب القرآني في صورة إقناعية ذات أبعاد لغوية وبيانية ومنطقية، والبلاغة آلية من آليات الإقناع<sup>28</sup>، وعندما نتحدث عن الإقناع نفترض حوارا يخضع لافتراضات مسبقة، ويعدل في جانبه البلاغي عن مبادئ التخاطب مما يولد استلزاما حواريا.

**2. 2. 5 . مسألة الاستلزام التخاطبي:** أدرك علماء اللغة العرب في الفكر اللغوي العربي القديم أبعاد ظاهرة الاستلزام التخاطبي، وقدموا عدة اقتراحات لوصفها في كل من علم النحو وعلم البلاغة وعلم الأصول، وتمتاز اقتراحات السكاكي في مفتاحه حول هذه الظاهرة في وصفها على أنّها تتجاوز الملاحظة الصرفة وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة؛ أي تحليل ثنائية المعنى الصريح والمعنى المستلزم حواريا، ووصف عملية الانتقال من الأولى إلى الثانية ومختلف الآليات والشروط، كما أنّ وصف السكاكي يتسم بالشمولية لمختلف المستويات اللغوية سواء أكان صوتا أم صرفا أم نحوا أم دلالة... إلخ<sup>29</sup>، فالاستلزام

التخاطبي أو كما يطلق عليه في الدرس التداولي المعاصر (الاستنزام الحواري) يعد من مجالات التداولية وملمحا من ملاحظها ينكشف بوضوح في التراث اللغوي العربي القديم.

**2.2.6. مسألة المعاني والأغراض:** أي المعاني الكامنة خلف الألفاظ، ومن ذلك "إشارة سيوييه إلى أنّ (القسم) لا يعدو أن يكون (تأكيدا) للكلام، وأنّ ل ( الاستفهام) عدة وظائف تواصلية منها التنبيه"<sup>30</sup>، فالمقاربة التداولية لا ترصد المعنى المشتق من الألفاظ وإنما تقف عند أغراض المخاطبين من استعمالهم اللفظية.

**2.2.7. مسألة وظيفة اللغة:** انحصرت وظيفة اللغة في الخطابات اللغوية التراثية في الوظيفة التبليغية، وهذه الوظيفة من أسباب حضور البعد التداولي، فكل نص يحمل بعدا تواصليا تبليغيا قصديا يؤسس مجال تداولي، ولا بد من التمييز بين نحويين في هذا الإطار، النحو الأول وظيفي والثاني غير وظيفي، والأول يهتم بالبعد التواصلية والآخر يهتم بعلامات أو أواخر الكلمات .

**2.2.8. مسألة النظم:** و(النظم) في تصور عبد القاهر الجرجاني (نحو) ، فالنحو عنده "ليس تتبعا ومطاردة للحركة الإعرابية، بل وظيفته الأساسية إبراز الفروق بين المستويات التداولية للتراكيب بحسب الأنماط المقامية التي ترد فيها، تطبيقا لقاعدة لكل مقام مقال وقد سماها نفسه معاني النحو إلا أنّ المتأخرين آثروا . مع الأسف . تسميتها معاني البلاغة"<sup>31</sup>، فنظرية النظم تجمع بين عدة مسالك تداولية مقامية وقصدية وبلاغية.

**2.2.9. مسألة الخبر والإنشاء:** اقترح مسعود صحراوي المصطلح العربي (الخبر والإنشاء) بديلا عن المصطلح الغربي (الأفعال الكلامية)، وذلك حسب رأيه بقصد الانسجام مع المصطلح الأصيل المتداول والبعده عن التشويش الاصطلاحي والفوضى المفهومية، ويبرر اقتراحه هذا بغاية اثباته وجود ملامح هذه النظرية في التراث اللغوي العربي، ومنه لا بد من ضبط المصطلح المماثل للمصطلح العربي وتحديد أسسه المنهجية ومرجعياته المعرفية، فهذا من شأنه التعرف أيضا على تقسيمات العرب لتلك الظاهرة ومحاولة تأصيلها كظاهرة خطابية عامة، وتعد (ظاهرة الخبر والإنشاء) حقلا مشتركا بين تخصصات علمية متعددة، فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة والبلاغيون والنحاة والأصوليون ، ومن ثم وجب على دارسها أن يطلع على مختلف المرجعيات المؤسسة لهذه الظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء الذين أسسوا لهذه الظاهرة من أمثال:

سيبويه(180هـ) والفارابي(338هـ) والهمذاني(415هـ) وابن سينا(428هـ)وعبد القاهر الجرجاني (471هـ) والسكاكي(626هـ) وغيرهم.

وبحسب معايير سيرل يندرج (الخبر) ضمن صنف (التقريرات) أما الإنشاء فيندرج ضمن الأصناف الكلامية التي وضعها سيرل كالأمريات والإيقاعيات والبوحيات، فالمراد بنظرية الخبر والإنشاء الانجاز اللفظي، كالأمر والنهي والوعد والتعزية والتهنئة وغير ذلك، وإذا طبقنا هذا المفهوم على اللغة العربية عدّ مختلف المقاصد والمعاني والإفاداة التي تستقى من الصيغ والألفاظ العربية، كمعاني الأساليب المختلفة خبرية كانت أم إنشائية، ودلالات حروف المعاني، والخوالف وغيرها، كلها تدخل في مجال الأفعال الكلامية، وهي تتجاوز مستوى الأداء الكلامي المحض إلى مستوى تغيير الواقع.<sup>32</sup>

وقد اقترح العلماء عدة معايير للتمييز بين الخبر والإنشاء نتجت عنها ثلاثة تصنيفات كبرى، هي حسب مسعود صحراوي: الخبر، الإنشاء الطلبي، الإنشاء غير الطلبي، وتتمثل المعايير بالترتيب في معيار قبول (الصدق والكذب)، ومعيار (مطابقة النسبة الخارجية)، وبعده معيار (إيجاد النسبة الخارجية)، ومن العلماء من اعتمد معيار القصدية، وكلها معايير مختلفة في أسسها المعرفية وأدواتها الإجرائية وبنائها المنطقي والتداولي، فالخبر منطقي مطابق للنسبة الخارجية وللصدق والكذب، والإنشاء مقصود في مطابقته للنسبة الخارجية ولا يخضع لمبدأ الصدق والكذب، وهذا اجراء تداولي، وقد حاول مسعود صحراوي تطبيق هذا الإجراء على الموروث البلاغي والنحوي عند العرب، فوجد في ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي أو تلك المتضمنة في القول مجالا مفضلا عنده، اعتقادا منه بأن البحث في هذا المجال سيسهم في توضيح كثير من المفاهيم التداولية التي يزخر بها التراث، والتي لا تقل أهمية عما تطرحه اللسانيات الغربية المعاصرة.

ويرى مسعود صحراوي أن تطبيق المقاربة التداولية على اللغة العربية من شأنه الاسهام في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطائية التواصلية، وقراءة التراث اللساني العربي في ظل هذه الرؤية التحديدية تبرز الخصائص الاستيمولوجية التي تجعل منه منظومة قابلة للتجاوز رغم كل استقلاليتها، كما يذهب إلى إنّ التداولية بمختلف آلياتها المنهجية والإجرائية كسياق الحال، وغرض المتكلم، وإفاداة السامع،

ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب وأفعال الكلام تعد مفتاح من مفاتيح قراءة التراث وفهمه ولها كفايتها الوصفية والتفسيرية في دراسة ظواهر اللغة العربية.

خاتمة:

خرج البحث في الختام بجملته من النتائج، أبرزها:

- يعدّ مسعود صحراوي من اللسانيين الجزائريين الذين كان لهم السبق في التأسيس للسانيات التداولية العربية المعاصرة.
- يسهم كتاب "التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي في إثراء الرؤية التجديدية لقراءات التراث اللغوي العربي، كما يبين جانبا مهما من جوانب البحث اللساني في الجزائر.
- على الرغم من تبني مسعود صحراوي لمصطلح "تداولية" غير أنه يقرّ بأنّ قضية التداولية التي تتمحور حول إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية المحركة لهذا الاستعمال يجدر أن تسمى بعلم الاستعمال اللغوي بدل التداولية.
- استند مسعود صحراوي في تحديده للمصطلح التداولي على معيار تعالق البنية اللغوية بمجال ومقتضيات استعمالها.
- اقترح مسعود صحراوي المصطلح العربي (الخبر والإنشاء) بديلا عن المصطلح الغربي (الأفعال الكلامية)، وذلك -حسب رأيه- بهدف الانسجام مع المصطلح الأصيل المتداول والبعد عن التشويش الاصطلاحي والفوضى المفهومية.
- إنّ الحفر في المرجعية الأبتيمولوجية للنظرية التداولية يعمل على ضبط الإطار العام للدرس التداولي.
- يرى مسعود صحراوي أن تطبيق المقاربة التداولية على اللغة العربية من شأنه الاسهام في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية التواصلية.
- قراءة التراث اللساني العربي في ظل الرؤية التجديدية تبرز الخصائص الأبتيمولوجية التي تجعل من التراث منظومة قابلة للتحوار رغم كل استقلاليتها.
- للأفعال الكلامية دور في إبراز الأبعاد التداولية في الخطابات اللغوية التراثية.

- تسهم المفاهيم والمصطلحات التداولية كظاهرة الخبر والإنشاء في إعادة نمذجة اللغة العربية بما يتناسب والاستعمال.

## الهوامش:

- 1 . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري. (1998). أساس البلاغة. ج2(ط1).
- (تح: محمد باسل عيون السود، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ص303.
- 2 . محمد حمزة ابراهيم ستار جبر حمود الأعرجي . (2012). المنهج التداولي في فكر طه عبد الرحمان(2)، صفحة 174.
- 3 . عبد الرحمان طه. (2000). في أصول الحوار وتحديد علم الكلام. (ط2). الرباط، المغرب: المركز الثقافي العربي، ص38/37.
- 4 . محمد حمزة ابراهيم ستار جبر حمود الأعرجي . (2012). المنهج التداولي في فكر طه عبد الرحمان، مرجع سابق، ص174.
- 5 . عبد الرحمان طه. (2000). في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، مرجع سابق، ص38/37.
- 6 . عمر بومقرة. (06, 2018). مفهوم التداولية من المنشأ الغربي إلى المحضن العربي. قراءة في المصطلح والمفهوم. م5(ع1)، ص41/40.
- 7 . أحمد المتوكل. (1985). الوظائف التداولية في اللغة العربية. (ط1). المغرب: الدار البيضاء، ص08.
- 8 . خلف الله بن علي. (2017). التداولية مقدمة عامة مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 14 العدد، ص233.
- 9 . ذهبية حمو الحاج. (01, 2018). مصطلح التداولية : إشكالات الوضع والاستعمال في الدرس اللساني العربي. مجلة علوم اللغة وآدابها، ع13، ص98.

- 10 . مسعود صحراوي. (2005). التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. (ط1). بيروت، لبنان: دار الطليعة للنشر والتوزيع، ص17/16.
- 11 . فاضل حاج علي. (2018 ,12 01). المصطلح التداولي في مقاربات بعض المحدثين العرب . قراءة في المفاهيم والآليات .. جسور المعرفة، 4 (4)، ص114.
- 12 . مسعود صحراوي. (2005). التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص29.
- 13 . عماد عبد الرحيم الزغول ورافع النصير الزغول. (د ت). علم النفس المعرفي. عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص08.
- 14 . بسام عبد الرحمان المشاقبة. (2015). نظريات الاتصال. (د ط). عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، 146/144.
- 15 . سني خليل. (2020). الفلسفة التحليلية وبنية التحليل المنطقي راسل أنموذجا. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية (12م)، ص 249.
- 16 . لزرق عابد. (2018 ,03 13). المقاربة التداولية للخطاب " مدخل نظري لأفعال الكلام". التعليمية، م05 (ع13)، ص 316.
- 17 . مسعود صحراوي. (2005). التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص المرجع نفسه، ص22.18.
- 19 . المرجع نفسه، ص23.
- 20 رابي غالبية. (2018 ,07). التداولية بين الاتجاه اللساني وتحليل الخطاب. 2 (2)، ص 44. المرجع نفسه، ص4421.
- 22 محمود أحمد نحلة. (2002). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر دار المعرفة الجامعية القاهرة مصر 2002 د ط. (د ط)، 11. القاهرة، مصر: دار المعرفة الجامعية.

- 23 . مسعود صحراوي. (2005). التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص32. 24 .
- 25 . المرجع نفسه، ص33 / 26
- 26 فاضل حاج علي. (01 12 , 2018). المصطلح التداولي في مقاربات بعض المحدثين العرب . قراءة في المفاهيم والآليات، ص 144
- 27 . عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية. (ط1)، 6. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 06 .
- 28 . عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية. (ط1)، 6. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 06 .
- 29 . عبد الله صولة. (2007). الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. (ط2). بيروت، لبنان: دار الفارابي، ص 08.
- 30 . حسن مكار وأخرون . (1984). البحث اللساني والسيميائي. (ط1)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. الدار البيضاء، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة، ص 21.
- 31 مسعود صحراوي. (2005). التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص220.
- المرجع نفسه، ص32. 221.
- 33 . المرجع نفسه، ص 11.

